الفصل الرابع

استيطان العرب لإيران
القبائل العربية في البلاد المفتوحة

لما زالت دولة المناذرة قبل الإسلام، وانتهى دورها في حماية الدولة الفارسية الساسانية ضد العرب أضحت القوة العربية في الجزيرة في مواجهة مباشرة مع الدولة الفارسية على أطراف العراق.

فلما جاء الإسلام، وسارت الجيوش لفتح العراق واجه الفاتحون في البداية أقوامًا من جلدتهم في الحيرة والأنبار، فاستجاب أكثر هؤلاء العرب لنداء الفاتحين، وساعدوهم فيما بعد على محاربة الفرس، نخص منهم بني النمر وبني تغلب وهم نصارى، فقد ذكر أن المثنى بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرض أنس بن هلال وقومه على الانضمام إلى الجيش المسلم؛ لكونه عربيًّا، وإن لم يكن على دين الإسلام. وكذا فعل ابن مردي الظهري التغلبي وعبدالله بن كليب بن خالد، فقاتلوا مع المثنى على الرغم من اختلاف الدين، لكن بعض نصارى العرب قاتلوا مع الفرس ضد المسلمين العرب، منهم الساكنون في عين التمر الذين قاتلوا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجيشه، فانتصر عليهم، وأخذ منهم أسرى، كما فعل مثلهم عرب نصارى في موقعة الولجة واليس، فكان موقفهم هذا سببًا في سخط مسلمي بني عجل عليهم مثل عتيبة بن النهاس وسعيد العراق أول الأمر موقف استثنائي لم يلبث أن تبدل بعد تلاحق انتصارات المسلمين[1].

(١) أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٢٧-٢٩.

استيطان العرب للبلاد المفتوحة:

في عهد الخلفاء الراشدين تم فتح العراق والشام ومصر وبلاد فارس، فقام بعض الفاتحين بالاستيطان في هذه البلاد، ولما كان القليل منهم ذا ميول علوية يفضلون الإمام علي، وهذه الفترة اتسمت فقط بالتشيع السياسي للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون ظهور أي معالم من عقائد الشيعة إلا القليل منها، وهؤلاء كانوا قلة، فقد كان لهم بعض الأثر في سكان البلاد المفتوحة، حيث يمثلون أوائل انتقال التشيع السياسي العربي الأصل إلى البلاد المفتوحة، ولأهمية ذلك يمكن تتبع هؤلاء وأثرهم على النحو الآتي:

أولًا: في البصرة.

من أوائل من ذكر من المتشيعين للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عبدالرحمن بن الأشعث الكندي، وقد كان أبوه قبله من رجال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الأشعث بن قيس رئيس قبيلة كندة الذي اشترك في حرب صفين مع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله مواقف مشهورة، وقد جاء عبدالرحمن بن الأشعث من الكوفة إلى البصرة قائمًا بحركته ضد الأمويين؛ وتمثل قبيلة الأوزد تجمعًا كبيرًا في البصرة، ومنهم بنو ضمرة الذين خرج منهم محمد بن نصير النميري البصري، وقيل: إن النميري لا علاقة له بالأوزد بل هو من موالي بني صعصعة، وكان للنميري شأن كبير في التشيع؛ والبلعميون في محلة بنى تميم لهم شأن في التشيع، فمنهم البلعمي أحد وزراء الدولة السامانية، وهو جد بني نوبَخت من الشيعة، ومنهم ينسب النوبختي صاحب كتاب فرق الشيعة، وهو من أوائل الكتب المهمة في الفرق ومقالاتها وأسباب انقسامها، ومن البلعميين هؤلاء محمد بن جمهور العمي البصري وإليه تنسب فرقة الغرابية الشيعية من الغلاة وكان شيخًا لإسحاق الأحمر من مؤسسي فرقة الغرابية في المدائن حيث جاءت إليها من البصرة، وقيل: إنه من سلالة الأشتر

النخعي في الكوفة ومن رجال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهورين، وهو كذلك شيخ لفرقة العزاقرة الشيعية من الشلمغانية في البصرة، ومن البيوت المشهورة في البصرة الربعيون الساكنون في محلة عبد قيس، وكان زعماء هؤلاء من فرقة الجارودية الشيعية (منهم الحوثيون في اليمن الآن)، الذين لهم شأن في السيطرة على الخليج بعدئذ، وكانت علاقتهم بالفرس وثيقة لارتباطهم بالمرزبان في الأهوار، وقد ذكر الإصطخري أن المرزبان كان والدًا لزوجة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر الإصطخري أن لهم صلة نسب بالصحابي سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر أن زيد رئيس لبني عبدة من بني صرحان كان أحد تلامذة سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر أيضًا أن رئيس قبيلة عبد قيس جاء من البحرين، وهو الجارود الذى أسلم على يد سلمان الفارسي، وقد نشأت فرقة السليمانية بين عبد قيس في البصرة، وانتقلت أفكارها إلى المدائن، وهى تنسب نفسها إلى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الذين عرفوا بالتشيع المغالي عبدالله بن وهب السمداني سنة ٣٦هـ وقد رحل بعد ذلك إلى المدائن، وتصفه المصادر بأنه سبئي متطرف، وقيل: إن من آثار التشيع في البصرة انتقال التشيع الإسماعيلي إلى نجران والأحساء عن طريق رحلات قبيلة كندة، وفيما بعد انتقل هذا الأثر الشيعي البصري إلى خراسان وهراة ومرو وما هان، حيث استوطنت هذه المناطق من قِبل قبائل عربية بصرية، ومن المعلوم أن أفكار الديانات السابقة **في كل هذه المناطق عبرت إلى الشيعة بوسائل** مختلفة، فهذه المدن كانت هي الجسور التي أمدت أولئك القوم بالفكر السبئي[١].

أثر محمد بن نصير النميري في نقل الفكر الأجنبي إلى الشيعة ٢٦٠هـ

ذكر عنه النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) أنه كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري، وذكر النوبختي أن النميري هذا قد ادعى النبوة، وقيل: إن فرقة النصيرية من الشيعة تنسب إليه، ومن الذين تأثروا بأفكاره محمد بن جندب

(١) ما سنيون: خطط البصر/ المجلسي: بحار الأنوار، المجلد ١٣، ص٢٢.

والحسين بن حمدان الخصيبي، ومن الأفكار التي نسبت إلى النميري هذا أن روح الله قد حلت به، وذكر عنه أنه يعتقد بألوهية الإمام الحسن العسكري، وأنه قال بإباحة المحارم، ونسب له النوبختي القول بحلية نكاح الغلمان، ونسب إلى فرقة النصيرية، ونسب إليه القول بتناسخ الأرواح والألوهية للأنبياء والأئمة، وأنه يؤمن بتناسخ الأرواح، وهى فكرة مأخوذة من الديانة الفارسية القديمة، حيث تدخل أرواح الموتى بدورات من السنين معذبة أو فرحة، ونسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمر والنجوم، وأنها متجسدة في حقيقة الإمام علي، وسنتعرض إلى نشأة مذهب النصيرية في الشام وأثر النميري وأتباعه في نقل بعض الأفكار الزرادشتية من إيران إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، خاصة في كل من اللاذقية وأنطاكية وصور وصيدا... إلخ[1].

ثانيًا: في الكوفة.

تنقل كتب الشيعة القديمة أساطير كثيرة عن الكوفة وأرضها بوصفها أرضًا مقدسة للأنبياء ذكر منهم إبراهيم ودانيال ونوح والخضر وغيرهم، ولكن أهم تجمع للشيعة كان من قبل الأشاعرة من مسجح القبيلة اليمنية، وقد هرب الكثير منهم بعد فشل ثورة عبدالرحمن بن الأشعث في الكوفة على الدولة الأموية، فاستوطنوا في كثير من مدن فارس، وخاصة مدينة قم، فنزل أشاعرة الكوفة على بني عمهم من المرازمة الأشاعرة، فكان المرازمة من الشيعة المعتدلين، ولكن غالبية أشاعرة الكوفة كانوا من الغلاة، فحصل بين الفريقين اختلاف وتصادم نتج عنه طرد أولئك الأشاعرة المغالين إلى خارج قم، فذهب بعضهم إلى كاشان، وتفرق الآخرون بفارس بعد أن نبتت جذور تشيعهم في الكوفة من قبل الغلاة من السبئية، وخاصة بعد مقتل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تعالت أصوات القبائل اليمنية مطالبة بتسويتها في قسمة الفيء مع من يسمون أهل العالية من قريش والأنصار،

(١) فتحي الزغبي: غلاة الشيعة، ص١٣٤-٢٦٠-٢٦٢.

وقد ذكر أن الأشتر النخعي كان من أوائل المعارضين والمطالبين بحصة أكبر من سواد العراق حيث كان القريشيون يحتجون بأن سواد العراق بستان قريش. من الجدير بالذكر أن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته قد ساوى في توزيع الفيء على المقاتلين، ولكن بعد مقتله أرجع الأمويون سياسة التقسيم بحسب الأسبقية في الإسلام، فالأوائل من المهاجرين والأنصار لهم الحصة الأكبر[١].

ما يدور في جبانات الكوفة:

يبدو أن بعض أفكار التشيع قد نبتت في جبانات الكوفة، وذلك فيما يدور من صراعات كلامية في أحقية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، وفيما حصل من مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم حرب الجمل وصفين والمخالفين من موقف معاوية من كل ذلك، ففي رواية أبي مخنف أن حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخُزاعي وعبدالله بن وهب جاؤوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسألوه رأيه في أبي بكر وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فنهرهم، وأسكتهم، وتشير بعض المصادر إلى شرطة الخميس وعلى رأسهم الأصبغ بن نباتة، فتذكر إحدى الروايات عن الزهري أن شرطة الخميس كانوا بإمرة قيس بن سعد بن عبادة، حيث كانت لهم خصوصية في القتال مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صفين حيث عاهدوه، ولزموه وبعد مقتل الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بويع ابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعد الخلاف الذي دب بين القبائل لم يبقَ مع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا القليل، ثم أظهرت بعض القبائل عدم رضاها عن تنازل الحسن لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ووصل الحال ببعض الشيعة أن لقبوا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مذل المؤمنين) وقد تمخض عدم الرضا بحركة حجر بن عدي الكندي ضد أمير الكوفة[٢].

---

(١) ياقوت الحموي: ج١، ص٥٤٤، ج٣، ص٧١/ ياقوت الحموي: ج٢، ص٤٨٠، ج٤، ص٧٨٣ و٣٣١/ الطبري: تاريخ الطبري، ج١. ص٨٥٤ و٢٨٥٥. فتوح البلدان: ص٢٨١.
أحمد صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٢٧-٢٩.

(٢) د. الجعيط: الكوفة، ص٤٠٩ /الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص٩١ ابن الأثير: الكامل: ج٣، ص٤٠٤. د. إبراهيم بيضون: اتجاهات المعارضة في الكوفة، ص١٨-٢٢.
حركة المختار: هند أبو الشعر، ص٣٤ وما بعدها.

الكوفة مركز من مراكز التشيع:

تمثل الكوفة أهم مركز من مراكز انتشار التشيع، تمثل ذلك في كثير من الحركات والثورات العلوية والشيعة ضد الدولة الأموية والدولة العباسية بدءًا بحركة التوابين بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم حركة عبدالرحمن بن الأشعث، ثم ثورة المختار بن عبيدالله الثقفي وثورة زيد بن علي بن الحسين، وغيرها من الثورات وأن أكثر الذين شغبوا على والي الكوفة سعيد بن العاص كانوا من قبائل يمنية وعلى الرغم من أن الوالي شتت رؤساءهم خارج الكوفة إلا أن هؤلاء الرؤساء كان لهم أثر في انتشار التشيع، فكانت الكوفة تمثل لهم رأس الحربة للمعارضة السياسية منذ زمن الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نتج عن ذلك وضع الصراع في الكوفة والعراق عمومًا بين القرشيين والأنصار من جهة والقبائل اليمنية من جهة أخرى، وقد انتشر التشيع السياسي في الكوفة بين عموم الناس، بل انتقل أثره إلى رواة الحديث في كتب الثقات من السنة، ذلك ما روي أن عمرو بن ثابت البكري الكوفي (١٧٣هـ) وهو من التابعين ومن موالي قبيلة عجل قال عنه أحمد بن حَنْبَل: كان يشتم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وترك ابن المبارك حديثه، وقال عنه الساجي: إنه مذموم، وإنه كان ينال من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ورد عن عمر بن ثابت أنه كان يعتقد بردّة الصحابة وكفرهم إلا أربعة وقيل: إلا خمسة. ومن الرواة الذين ورد عنهم في الكوفة إسماعيل بن خليفة العبسي (ت١٦٩هـ) روى عنه الثوري ووكيع، وكذلك ورد اسم يونس الثوري قال عنه البخاري: إنه منكر الحديث، وقال عنه أحمد بن حَنْبَل: إنه كان خبيث الرأي، وإنه متأثر برأي ابن سبأ. وشيوع أفكار السبئية في الكوفة واضحة حتى عمت بلواها إلى بعض الرواة والمحدثين حيث ورد في كتب الرجال أن من أسباب رد حديث الرواة أن ذلك الراوي كان يؤمن برجعة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الدنيا.

وما نقلناه أعلاه نموذج وأمثلة من أفكار رجال كانوا غالبًا من الموالي ومن أصول غير عربية أو كونهم عربًا متأثرين بالأفكار الأجنبية حيث تبنوها، واتخذوها معتقدًا تكون على إثرها الكثير من الفرق والمقالات التي انتقلت منها الأفكار اليهودية والمجوسية والنصرانية، إضافة إلى أن التشيع منذ أوائل تكوينه كان العامل الاقتصادي أحد أسبابه، فقد كان أهل العالية من القرشيين والأنصار يتسلمون حصة أكبر من العطاء وهذه السياسة يبدو أنها شكلت بعض الأسباب التي استغلها الشيعة السبئية من القبائل اليمنية حيث كان دخولها إلى الإسلام متأخرًا.

وأهم المساجد التي كان يعظمها الشيعة في الكوفة هي مسجد السهلة، ومسجد جعفي، ومسجد الحمراء، وهو لغير العرب (الموالي غير العرب) وقد اتخذت القبائل اليمنية في الكوفة لها جبانات، وهي أماكن تتجمع فيها القبيلة لتنفيذ أغراضها الخاصة، وتبدو أنها تقليد نقلته معها من اليمن، ومن غير المستبعد أن الحسينيات المنتشرة عند الشيعة خاصة في العراق هي تطور عن تلك الجبانات التي تعد من المراكز لنشر التشيع وأفكاره[1].

ثالثًا: انتقال أوائل الشيعة إلى بعض البلاد المفتوحة.

(أ) العرب في أذربيجان.

سكن بعض العرب أذربيجان في أواخر خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد فتح العرب حصنين مشهورين: أحدهما في مراغة، والآخر في أردبيل، واستوطن كثير من العرب هاتين المدينتين، وكان أكثرهم من قبائل يمنية خاصة من قبيلة كندة وقلة من بني وائل، ويعود

(١) محمد بن يحيى بن أبي بكر الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان، ص٤٧ وما بعدها دار الثقافة، ١٩٨٥م/ ابن تيمية: العصبية القبلية والإمام المظلوم، ص١٢٣ وما بعدها عثمان بن عفان/ الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٠٥/ د. الجعيط: الكوفة، ص٤١٦.

السبب في ذلك إلى كون الأشعث بن قيس الكندي واليًا على أذربيجان (عينه الإمام علي في خلافته) في هذه الفترة، ومن المعلوم أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان قد تزوج ابنة الأشعث وبطول إقامة هؤلاء العرب في هذه المنطقة فيما بعد أصبح الجميع ناطقين بالفارسية منذ القرن الثالث الهجري، بل ربما أصبحت ثقافتهم فارسية، فقد ذكر أن محمد بن بعيث من بني وائل كان شاعرًا بالفارسية، ومنذ مطلع القرن الثالث الهجري كان في أذربيجان، وخاصة بلاد الديلم وهم شيعة زيدية. وفي القرن السابع الهجري اعتنق بعض الأتراك من القرى هذا المذهب، واستوطنوا هذه المنطقة قادمين من صحاري بلاد المغول.

(ب) **العرب في قم وكاشان.**

يعود وجود العرب في قم وكاشان إلى زمن الفتح الإسلامي حيث سكنت هذه المناطق بعض القبائل العربية خاصة من مسحج والقادمين من الكوفة بالعراق، وبعد ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي في الكوفة سنة ٨٠هـ على الدولة الأموية كان شيعة العراق والكوفة خاصة هم عمود هذه الثورة، وقد ناصر هذه الثورة كثير من الفقهاء حيث لم يتضح بعد مذهب التشيع، ولم تتشكل مبادئه وعقائده، وكان أهم المناصرين الشيعة لهذه الثورة كميل بن زياد النخعي وهو من رجال الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واستمرت هذه الثورة أكثر من سنتين في العراق إلى أن تصدى لها الحجاج بن يوسف، وهزم جيش ابن الأشعث في معركة الجماجم قرب الكوفة، وتشتت جيش بن الأشعث، وهرب بعضهم إلى إيران، ولكنهم تركزوا في قم، وكان أغلبهم من النخع والأشعريين، ويقول ياقوت الحموي: إن قم استخدمها العرب أيام الحجاج سنة ٨٣هـ، وأهلها شيعة إمامية[1] وقد عرف شيعة قم وكاشان بأنهم من غلاة الشيعة، وأنهم عاشوا في ظل التقية قرونًا يكتمون مذهبهم، ونقل عن جلال الدين الرومي في

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٧/ أمير حسين خنجي: إيران الصفوية، ص١٤٤.

كتابه (المثنوي): إنك إن كنت في مدينة كاشان، وكان اسمك عمر فلن تجد خبازًا واحدًا يبيعك الرغيف[١].

وقبل سنة ١٥٠١م استقبل سكان قم وكاشان الجيش الصفوي بالأفراح والأهازيج، وأقاموا الاحتفالات، ونشطوا مع القز لباش في تعقب أهل السنة؛ لإجبارهم على البراءة من الصحابة، أو يقتلونهم، ولم تسلم حتى مدينة سمنان من بطش الشاه إسماعيل على الرغم من أن أهلها زيدية.

رابعًا: الشيعة العرب في الشام.

بعد ثورات العلويين والشيعة أيام الدولة الأموية والدولة العباسية هرب كثير من شيعة الكوفة، خاصة إلى المناطق النائية عن مركز الدولة، فكان منهم في جبل عامل بلبنان وفي حلب والإسكندرون، وكان أكثرهم من غلاة الشيعة المطلوبين للدولة، وذكر البعض أن منهم من كان من القرامطة والإسماعيلية[٢].

وكان يسود في الشام المذهب الحنبلي، ولذا نشأ التشيع في الشام سريًّا ومغاليًا، وقد اُتُهم شيعة الشام بمساعدتهم للصليبين، وتعرضوا لنقمة المجتمع الحنبلي خاصة، وقد أعدم الشيخ شهاب الدين السهروردي بالشام في ظل تلك الأجواء، واتهم شيعة الشام بمساعدة المغول في احتلالهم البلاد، وفي كتابات الشيخ ابن تيمية رد فعل كبير ضد الشيعة عمومًا يوضح الخلافات القائمة في ذلك الوقت. ونتيجة ذلك اتجه كثير من الشيعة إلى أماكن بعيدة والهرب في الجبال وخاصة تلك التي يسكنها المسيحيون مثل جبل عامل بلبنان، وبعد إخضاع العثمانيين الشام قام السلطان سليم بتهجير كثير من شيعة الشام وخاصة حلب إلى الجانب الأوروبي من الدولة العثمانية، وهؤلاء وجدوها فرصة فيما بعد إلى

(١) صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٣٠-٣٥، ط٢، ١٩٨٣م، بيروت.
(٢) د. أمير حسين خنجي: المصدر السابق، ص٣٣٥.

الذهاب إلى الدولة الصفوية المناصرة للتشيّع، ويرى الدكتور أمير حسين خانجي في كتابه (إيران الصفوية)[١].

إن جميع فقهاء إيران منذ البداية وحتي القرن الحادي عشر الهجري كلهم كانوا من العرب وعلى الأخص من القبائل اليمانية، فأغلبهم جاء من العراق، وما نسب إلى طوس وطبرس إلا لأنهم سكنوا تلك المناطق، ويرى أن ابن بابوية القمي صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) عربي من أهل الكوفة، وأن محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب (الكافي) عربي الأصل عراقي، بل لم يذهب إلى إيران، وكذلك الشيخ الطوسي محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب (التهذيب) وكتب أخرى كثيرة في المذهب، وكذلك الطبرسي صاحب التفسير المشهور كلهم عرب لم يكن أي منهم إيرانيًّا، وكذلك يرى أن علماء شيعة الإسماعيلية هم عرب أمثال ناصر خسرو، وحسن الصباح عربي من قبيلة حمير اليمنية الذين كانوا في الكوفة، ويرى في المقابل أن أكثر علماء الإسلام المشهورين بإنتاجهم الفقهي والحديث والفلسفة هم من الإيرانيين (غير الشيعة).

وعلماء الشيعة في العراق كانوا عربًا أمثال الشريف المرتضى والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن المعلم ت٤١٣هـ) فهو من قبيلة حارثة اليمنية، وكذلك هو الذي أصل المذهب الإثنا عشري، وتلميذه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، والشيخ المفيد جيء به إلى إصطخر منفيًّا من الأمير الديلمي بهاء الدولة، ولكنه رجع إلى بغداد بعدئذ.

وفي خوزستان كان يوجد شيعة عرب إمامية معتدلون يسمون المشعشعين، وقد جاؤوا من مدينة واسط بالعراق أوائل الحكم الصفوي، وسكنوا أول الوقت (الهويزة) ولكونهم معتدلين فقد أذاهم الشاه إسماعيل بجنده، وبطش بهم، وينقل خانجي عن (حسن رو ميلو) أنه قبل العصر الصفوي لم يسكن في إيران

(١) د. أمير حسين خنجي، المصدر السابق، ص٣٣٨ .

أي مؤلف كتاب شيعي، ويرى أن أول كتاب فقه عرفه الشيعة في إيران هو (قواعد الإسلام) لابن المطهر الحلي الذى كتب في العراق، ونقل إلى إيران، وكان يعلمه للشيعة القاضي نصير الله زيتوني، وقام فيما بعد الفقهاء العرب الشيعة القادمون من لبنان بتدريس الكتاب للشيعة الإيرانيين، وكان أول هؤلاء العلماء هو علي بن عبدالعال الكركي من مدينة الكرك جنوب لبنان، فقد بدا يكتب، ويفتي بجنده للغزل باش بتعهد طهماسب بمساعدة نعمة الله الحلي والشيخ إبراهيم القطيفي القادم من الأحساء[١].

وتولى كل فَقِيه شيعي عربي قادم من هذه الأماكن رئاسة جماعة من جماعات البراءة التي كانت تدخل تحت حماية أحد القز لباش، ودخل هؤلاء العلماء في منافسة بينهم على الأموال المنهوبة أصلًا من السنة، وانتهت المؤسسة الدينية بانتصار الكركي، وهرب القطيفي إلى الأحساء ونعمة الله إلى الحلة، وانتصر جناح العلماء اللبنانيين، واختفى الشيخ الكركي عند الشاه طهماسب الشاب الصغير (ولي الإمام الغائب) فكان أول تأصيل فقهي في إيران يُمنح للشاه، ولقى بهذا حظوة عند طهماسب، وأضحى رأيه لا يرد، ومن هنا راج سوق فقهاء الشيعة اللبنانيين، ويرى الدكتور خانجي أن الشيخ الكركي هو الذي أفهم القز لباش والشاه طهماسب الشاب الصغير أن السلطة الحقيقة هي للإمام الغائب وما الشاه إلا متلقٍ لتلك السلطة من الإمام الغائب، وهكذا جعل الشاه الشيخ الكركي منبعًا لمشروعية حكمه، ومن هنا ولأول مرة في التشيع ابتدع مقام المرجعية، وتطورت فيما بعد، ولذا فإن فكرة ولاية الفقيه كان الشيخ الكركي أول مبتدعيها في جسم التشيع، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي (جذور التشيع). ومن هنا وجب على كل شيعي أن يقلد مرجعًا دينيًّا، وأن يتبعه، ولا يخرج عليه، وهذا البلاء نزل في عقل التشيع الإيراني بالذات في هذه الفترة، وألغي العقل، وحل محله تصديق الخرافات والأكاذيب التي امتلأت بها مؤلفات الشيعة الإيرانيين

(١) د. أمير حسين خنجي: المصدر السابق، ص٣٤١ و٣٤٩.

خاصةً في تلك الفترة، ولقد حلت الحسينيات محل الزوايا الصوفية القديمة ومحل المساجد التي هدمها، وتركها القز لباش والتي لم يعد الإيراني يصلي بها خشية رميه بالتسنن، وقيل: إن الكركي أفتى بأن جميع المساجد التي بناها السنة لم تكن على القبلة الصحيحة؛ ولذا يجب هدمها وبناؤها من جديد، وقام الكركي بتأسيس مدارس للمذهب، وأخذ أطفال السنة والأيتام لتدريسهم التشيع.